

## التربية الإسلامية ونهضة الأمة (فى مواجهة نموذج التنمية الغربى)

عين الرفيق دوام

رئيس قسم التربية الإسلامية فى كلية الدراسات العليا بجامعة سونن كاليجاكا الإسلامية

الحكومية بيوكياكرتا

### Abstract

*Western model of cultural development has been considered the sole icon by most countries, including those of the third world. The fact is that most people in the third world adhere Islam. Regrettably, they cannot secede from the model. The most noticeable instance for it is the model of science and technology development. This has strained them to receive it. For Islamic education scholars, however, the model shouldn't be taken for granted. It is necessary for the Islamic countries to pass it through a filter in order that it can be adapted to Islamic values and teaching. Therefore, the wise solution for it is to create and design the model of science and technology development strongly inspired with the Islamic values and teaching. All these must start from the very basic foundation i.e. Muslim's consciousness to revive, predominantly in scientific and technological matter. The strategic means to awaken the consciousness is qualified education.*

### Abstrak

*Model pembangunan dan pengembangan budaya di Barat telah menjadi icon sebagian besar negara-negara di dunia, termasuk negara dunia ketiga. Negara dunia ketiga yang sebagian besar berpenduduk Muslim tidak bisa melepaskan diri dari arus utama model pembangunan tersebut. Salah satu hal yang paling mencolok adalah model pengembangan ilmu pengetahuan dan teknologi. Mau tidak mau negara-negara Islam harus*

*menerima semua itu. Hanya saja bagi ahli pendidikan Islam tidak semua model pembangunan dan pengembangan ilmu pengetahuan dan teknologi diambil dengan serta merta. Di sini perlu adanya filtering untuk disesuaikan dengan nilai-nilai dan ajaran Islam. Oleh karena itu, sebagai solusi yang lebih bijaksana adalah mengembangkan model pembangunan ilmu pengetahuan dan teknologi yang benar-benar dijiwai nilai-nilai dan ajaran Islam. Itu semua harus dimulai dari bangunan dasar yang berupa kesadaran seluruh umat Islam untuk bangkit, khususnya dalam hal ilmu pengetahuan dan teknologi. Sarana yang paling strategis untuk menumbuhkan kesadaran tersebut adalah melalui pendidikan yang berkualitas.*

**Keywords:** Western model, third world, qualified education.

#### ا. المقدمة

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على رسوله محمد الذي هو سيد الأنام ونور العالم، وعلى آله وأصحابه الذين هم أزهد من رجال اليوم، أما بعد:

إن هذا العالم الكبير الذي يحيط الإنسان يمكن تقسيمه إلى عالمين أصغر منه، هما عالم الجماد والعالم الحي، ولكل منهما خصائصه. فمن خصائص الكائنات الحية أنها قابلة للنمو والزيادة أو النقصان من الداخل، نعم إن النمو الداخلي سببه قبول الجسد لمواد جاءت إليه من الخارج، ولكن الجمادات ليست لها هذه القدرة<sup>١</sup>.

والإنسان أرقى جميع الكائنات الحية التي على وجه البسيطة وهو يتميز عن بقية الكائنات بالعقل<sup>٢</sup>. والإنسان يختلف عن غيره في أنه اجتماعي بالضرورة، لا يستطيع أن يحيا حياته الإنسانية إذا انفصل عن المجتمع البشري، ويقول آخر أن الإنسان أفراد المجتمع، لذلك إذا كان المجتمع قابلاً للنمو أو النهضة فكان المجتمع بنفسه قابل للنهضة. ويعتمد على عاملين، وهما عامل الوراثة وعامل البيئة.

---

اصالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد، التربية وطرق التدريس، القاهرة: دار المعارف، بلا سنة، ص. ٩.

<sup>٢</sup> علي خليل مصطفى أبو العينين، "عمر بن الخطاب واهتمامه التربوية"، في علي بن محمد التويجري، من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد ١، بدون مكان: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٨، ص. ٤٩-٥٠.

والآن أى فى القرن الواحد العشرين شهد المسلمون ذبوع فكرة التنمية وارتباطها بتصور تقدم ورفاهية الشعوب وتقدمها إلا أنه خلال عقد الخمسينات من القرن العشرين والذى تلا الحرب العالمية الثانية وجدت هذه الفكرة لها أرضا واسعة فى مجتمعات الغرب الصناعى، هكذا تبلور تصور للتنمية يجعل من النمو الاقتصادى بمعناه الكمي الهدف الأسمى للمجتمع. ولما كان الإنسان أرقى جميع الكائنات، وأمة محمد هى خير أمة أخرجت للناس كما فى القرآن الكريم، وهنا ظهرت مسألة كبيرة كيف يواجه المسلمون الانتشار نموذج التنمية الغربى؟ وهدف هذه المقالة البحث عن أهمية التربية الإسلامية للمسلمين مقابل انتشار نموذج التنمية الغربى.

### ب. عملية التربية هى عملية النمو أو النهضة من عاملين الوراثة والبيئة

إن سلوك الإنسان فطري ومكتسب، فالتنفس عند الطفل مند الميلاد ليس مكتسبا ولكنه فطري، والدليل على ذلك أن السلوك الفطري يتناوبه التعديل كلما نضج الإنسان من محاولات الطفل لإشباع غريزة البحث عن الطعام، وعند الرجل الراشد لإشباع نفس الغريزة، فالطفل يمسك بالشئ الذى يريد أكله ويظل يأتي بحركات عشوائية حتى تؤدي إحدى هذه الحركات العشوائية تكون قد استوصلت فيضع الشئ الذى يريد أكله فى فمه بطريقة مباشرة.

فهو قد تعلم أن يميز بين الحركات العشوائية التى لن تؤدي الوصول إلى الهدف، وبين الحركة التى ستؤدي إلى هذا الهدف بصورة مباشرة وفعالة. وهو أيضا قد تعلم أن يطرح الحركات الأولى وأن يأتي بالحركة الفعالة التى ستشبع غريزة البحث عن الطعام. والواقع أن الطفل فى بادئ الأمر يصل إلى إشباع غريزة البحث عن الطعام عن طريق المحاولات العشوائية المحضة، فهو أولا يتعلم فى حركته، وقد تكون بعض هذه الحركات بعيدة عن تحقيق الهدف المقصود. وتكرار العملية يخذف الطفل الحركات التى لا تؤدي إلى الهدف المقصود، ويأتي بالحركة التى تؤدي إلى الهدف مباشرة، فتصبح العملية أضبط، وأميل إلى الإقتصاد فى النشاط الذى يتطلبه، ومتجهة نحو الهدف بشكل مباشر.<sup>٢</sup>

<sup>٢</sup>انظر، حسين سليمان قورة، أصول التربية فى بناء المناهج، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩، ص. ١٣٦.

وبذلك يقال بأن حركات الطفل هو الدليل الملموس على أن الطفل قد تعلم، فالتعلم إذن أي سلوك يسلكه الفرد بحيث يؤثر في سائر سلوكه فيحسنه ويكون سببا في تقدمه.<sup>٤</sup> مثال ذلك إذا حضر احد من سكان الريف الى يوكياكرتا لأول مرة وسكن في أحد الأحياء، ثم أرشده صديق إلى الطريق الذى يسلكه حتى يصل إلى ماليوبورو (malioboro) ثم كرر إرشاده مرة بعد مرة حتى أصبح قادرا على الذهاب إلى ماليوبورو وحده، هنا يقال إن الريفي قد تعلم شيئا وهو الطريق المؤدي إلى ماليوبورو. والتعليم فى هذه الحالة لا يخرج عن كونه تغييرا طرأ على الطريق فى ذهن الريفي، فبدل معالمه من حال إل حال، فالحوانيت التى على جانبيه أصبحت صورتها عالقة فى ذهن المتعلم، وعلاقة هذه الحوانيت بعضها ببعض أصبحت ذات معنى بعد أن كانت مبعثرة لاتربطها رابطة، وأصبحت سلسلة أو سلاسل تتكون كل واحدة منها من حلقات من أنواع متشابهة.

وبعد أن كان الطريق فى بادئ الأمر قطعة واحدة مختلطة ومضطربة أصبحت بعد التعلم قطاعا مفهومة متتالية، بترتيب ونظام خاص، يستطيع بهما الريفي أن يعبر من واحدة إلى واحدة، ويدور يمينا ويسارا بكيفية خاصة إلى أن يبلغ أمنيته المنشودة وهى ماليوبورو. فالتعلم إذا هو تغيير فى ذهن المتعلم طرأ على شيء فبدل معالمه من حال إلى حال، وإن الصديق الذى أرشد إلى ماليوبورو لم يكن له دخل البتة إلا عن طريق غير مباشر فى هذا التغيير الذى طرأ على الطريق حتى أصبح صورة واضحة فى ذهن المتعلم.<sup>٥</sup> وفى الترتيبية يطلق على الطريق اسم المدرس، وعلى الريفي اسم الطالب، وعلى الصديق الذى أرشده اسم المعلم، وعلى معرفة الطريق اسم التعلم، وعلى ماليوبورو الغاية. ومن هذا المثال قد يقال أن وظيفة المعلم الإرشاد لا غير لأن التغيير الذى طرأ على معالم الدرس لم يحدث فى ذهن المعلم حتى تم التعليم فعلا، بل فى ذهن الطالب، ولو لم يكن كذلك لما كان التعلم قد تم مهما كان المعلم ماهرا. وإذا رجع إلى

---

<sup>٤</sup> وهناك تعارف أخرى، منها: ١- التعلم هو كل سلوك يؤدي إلى نمو الفرد وبنائه وجعل خبرته مغايرة لما كانت عليه أو لا، ٢- هو عملية النمو المضطرد للفرد وتحسنه المستمر حتى يستطيع أن يعيش فى بيئته، ٣- هو كسب سلوك معين، أي تدريب الفرد على الاستجابة بكيفية معينة لمثيرات البيئة، ٤- هو عملية يكتسب الفرد عن طريقها خبراته القديمة، ٥- هو حدث التلميذ وإلهامه ليعمل وحده وليجرب بنفسه حتى يحصل على فوائد معينة وينمو نموا محسوسا بدنيا وأخلاقيا. انظر، صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد، التربية وطرق التدريس، ص. ١٦٨.

<sup>٥</sup> انظر، سيد أحمد عثمان، التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٩، ص. ١١٨-١١٩.

القول بأن التعلم يقتضى التحسن المستمر على طريق المران والتدريب فيجاد أن أفضل طريقة بها يمكن الإنسان فهم طبيعة هذا التحسين هي أن يتبع التغيير الذى يتم فى أثناء حدوث التعلم.<sup>٦</sup> وقد وجد أن التعلم فى أدواره الأولى يتكون من حالات غير ناضجة، مبهمة، حائرة، غير مستقرة، ومن أفعال استجابية غير محدودة وخاطئة ومفككة. غير أن التدريب يقلل الأخطاء ويهذب الأفعال الاستجابية، فيحل اليقين بالتدرج محل الحيرة والشك، وبذلك يتمكن المتعلم من تكوين صورة ذهنية لم تكن موجودة من هذه الصورة الذهنية. وكلما تقدم المتعلم خطوة فى طريق التعلم استطاع أن يقتبس وحدات تعليمية أكبر وأصعب من النظام الناتج عن النمو فى المقدرة على التنظيم بعد الفوضى، فالواجبات التى كانت تؤدى بصعوبة يمكن عملها الآن بكل سهولة، وتكتسب الصور الذهنية مغزى جديدا.<sup>٧</sup>

بعد أن كانت تتراءى خالية من المعنى، فالتعلم إذا يدل على شيء آخر أكثر من مجرد اكتساب المهارة، وتحصيل المعلومات بالطريقة الآلية المعروفة التى تعتمد على التدريب والتكرار، وهو الآن يدل على تنظيم المعرفة المكتسبة، وتقدير قيمتها وإعطائها المعانى التى تنطبق عليها، ومقارنتها بما يماثله من معارف، فالتعلم نظام يحتم على المتعلم أن يدرك أنه يسير نحو هدف معين وأنه يسعى نحو غاية مقصودة.<sup>٨</sup>

### ج. عملية النمو لدى الإنسان

المعروف أن المظاهر العديدة لعملية النمو لا تحدث فجأة وإنما تتصف بالاستمرار والتدرج فى الظهور، فالبلوغ مثلا تغير يأخذ مكانه فى الشخص على مدى سنوات عديدة قد تبتدى فى وقت مبكر، وأى تغير فى صفة من الصفات الإنسانية فى أى طور من أطوار الحياة يربط الحياة بمرحلة ما قبل التغير وبمرحلة ما بعده بحيث لا يمكن الفصل أو تحديد الزمن بالدقة الدقيقة، ومتى حدث هذا التغير وأدركت معالمه دل دلالة خاصة على مستوى ما من

<sup>٦</sup>Mastuhu, "Pendidikan Agama Islam di Perguruan Tinggi Umum", Fuaduddin & Cik Hasan Basri (ed.), *Dinamika Pemikiran Islam di Perguruan Tinggi: Wacana tentang Pendidikan Agama Isla*, Jakarta: Logos Wacana Ilmu, ١٩٩٩, p. ٣٢-٣٣.

<sup>٧</sup>حسين سليمان قورة، *الأصول التربوية فى بناء المناهج*، ص. ١١٩.  
<sup>٨</sup>أنظر، عبد الرحمن النحلوى، *أصول التربية الإسلامية وأساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع*، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٨٣، ص. ١٥.

النضج ومن اكتمال الشخصية عند الفرد. ولعملية النمو هذه سمات معروفة، فتتصف بالعموم في بدايتها ثم تتدرج نحو التخصص.<sup>٩</sup>

الطفل في بداية حياته ينظر إلى العالم حوله نظرة عامة فيرى الناس جميعا أشخاصا لا فرق بين ذكر و أنثى أو بين مثقف وجاهل ويعتبر الأشجار كلها مثلا نوعا واحدا لا تميز بينهما، حتى إذا تقدم به العمر ادرك أن من بين الأشخاص ذكرا له سمات معينة وملابس خاصة،<sup>١٠</sup> وأن من الأشجار شجرة القهوة و المانجا والزيتون وغيرها متميزة بما تتميز به من صفات، فإذا ازداد نضجه إلى حد أبعد ميز بين الشخص المثقف والجاهل، وهكذا تسير العموميات مع نضج الطفل إلى التتويج والتخصص المتدرج نحو الدقة والضييق. وفي الوقت نفسه الذي يظهر فيه التخصص تبدأ عملية نمو أخرى تسير الأولى في خط متواز، ذلك أن المهارات الحركية والمدركات العقلية التي تميزت بخصائص مختلفة في المفهوم تعود مرة ثانية إلى التجمع ولكنه تجمع من نوع جديد، إذ يقوم الفرد بناء على ملاحظاته وخبراته التي تقدمت ونضجت نوعا ما بعملية تقوية وتنظيم، فيختار العناصر المتشابهة ويجمعها في نماذج أكثر تعقيدا وأدق.<sup>١١</sup>

فالذكور والإناث الذين تعرف عليهم وفصل في الإدراك بينهما يمتزجون معا مرة أخرى تحت حكم واحد بناء على سمات معينة وصفات واضحة محدودة تجمع بينهم، فيحكم على بعضهم مثلا بالطول وعلى البعض الآخر بالقصر، أو ينسب مجموعة منهم إلى جمهورية إندونيسيا ومجموعة أخرى إلى بعض البلاد آسيا أو إلى أوروبا، والأشجار التي تميزت عنده بخصائصها تتجمع لتكون من نباتات الصعيد أو الوجه البحرى أو مما يزرع في المناطق الحارة أو الباردة أو هكذا وقد يعود على الناس الذين عرفهم مرة ثالثة فيضع الأنيق منهم من مركز تجمع واحد وغير الأنيق في المركز المقابل ويحكم على جملة منهم بالسامة وجملة

<sup>٩</sup> حسين سليمان قورة، الأصول التربوية في بناء المناهج، ص. ١٣٥-١٣٦.

<sup>١٠</sup> محمد منير مرسى، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٢، ص. ١٣١. وهو يقول ويتساوى في هذا الاهتمام بالتعليم الولد والبنت على السواء. ويعترف المرءون المسلمون بحق البنت في التعليم انطلاقا من أن التكاليف الدينية واجبة على الرجل والمرأة. وهذا يتفق مع روح الإسلام الحقيقية التي جعلت من طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

<sup>١١</sup> Singgih D. Gunarsa, *Dasar dan Teori Perkembangan Anak*, Jakarta: BPK Gunung Mulia, ١٩٩٧, p. ٥٧.

بالدماة، أو على مجموعة متشابهة في سمات خاصة بحسن الخلق، ومجموعة أخرى متشابهة في سمات خاصة بسوء الخلق، كذا وهكذا.<sup>١٢</sup>

ومن المعتقد أن القدرات العقلية تنمو وتتضح بتطور الزمن وسعة الخبرات المكتسبة حتى سن معين، ومقدرة الطفل الصغير محدودة في حل المشاكل ثم تنمو وتطور وتتسع دائراتها كلما تقدم في العمر وانتقل من صف دراسي إلى صف دراسي آخر، بحيث إنه كلما كبر استطاع حل المشاكل الأكثر تعقيدا. وينبغي أن يفهم المسلمون أن النمو والتطور العقلي والجسدي والاجتماعي للإنسان كحركة الساعة الألية يلتزم قارئها بما يشير إليه ذراعاها لا يسبقهما أو يتأخر عنهما، لأنه يستجيب لمؤثرات البيئة في المدرسة والمجتمع والبيت، ويفهم الحاضر في ظل الماضي، ويستوحي المستقبل لينفعل بالحاضر.<sup>١٣</sup> ولذلك قد يقال بأن الإنسان يرى العالم من خلال منظاره الخاص الذي تلونه مراحل نموه.

#### د. المسلمون ونموذج التنمية الغربي

وانطلاقا من حيرة المسلمين خلال عقد الخمسينات من القرن العشرين، شهد المسلمون في ابتداء عقد الستينات محاولات مكثفة بذلها الكثير من دول العالم الثالث لتبني نموذج التنمية الغربي، وخلال هذه الفترة ساد استخدام مصطلح الدول النامية كنعنت لتلك الدول من العالم الثالث الأخذة بنموذج التنمية الغربي. إن هذا المصطلح في لغته الأصلية (developed) بمقارنة بالمصطلح المقابل الذي يصف دول الغرب الصناعي (developing) يكشف الرؤية الكامنة خلفه، إن الطريق واحد والهدف أيضا واحد وأن حاضرا هو ماضي دول الغرب الصناعي، وأن ليس على المسلمين إلا اتباع النموذج الغربي الجاهز. وخلال ربع قرن من هذه المحاولات تبدي بشكل واضح أن الطريق مسدود، وأن خطط التنمية وفقا للنموذج الغربي لم تؤت ثمارها ولم تحقق أهدافها في أغلب دول العالم الثالث، والتي أصبحت تنن حاليا تحت وطأة الديون المتفاقمة، ذلك بالإضافة إلى التمزقات الاجتماعية والحضارية الرهيبة والمشكلات

<sup>١٢</sup> احسين سليمان قورة، الأصول التربوية في بناء المناهج، ص. ١٣٦.

<sup>١٣</sup> أنظر، على خليل مصطفى أبو العينين، القيم الإسلامية والتربوية: دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتنميتها، المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حسبي، ١٩٨٨، ص. ٧-٨.

البنيية التي نجمت عن تلك المحاولات. هكذا يبدو أن البنودول يتحرك في اتجاه معاكس، فبعض تلك الدول التي تعرضت لخبرات مكثفة للتنمية وفقا للنموذج الغربي قد أخذت موقف العودة، العودة إلى الذات بالمعنى الحضاري، هذا الموقف اتخذته بالفعل دول، وتتخذة شرائح متزايدة الاتساع من المثقفين، بل والطبقات الشعبية في الكثير من مجتمعات المسلمين.<sup>١٤</sup>

للعالم الثالث الذي معظمه من المسلمين استجابات هامة من جانب بعض المنظمات الدولية المهمة بالتنمية كاليونسكو، والتي تتم تحت مايسمى الأخذ في الإعتبار بالبعد الحضاري في التنمية، إلا أن الموقف غير واضح من الأخر أي من المجتمعات التي تنتمي إلى الحضارات المغايرة للحضارة الغربية،<sup>١٥</sup> والتخوف الذي له ما يبرره أن ينحصر الاهتمام المتزايد بالبعد الحضاري في هذه الدوائر وغيرها في (١) الاستخدام العملي للأليات والخصائص الحضارية المغايرة للخروج بنماذج اجتماعية لتحقيق التحديث في هذه الحضارات وفقا للنموذج الغربي، (٢) التطعيم. تطعيم القوى الحضارية الغربية بالمزيد من المعلومات عن الحضارات الأخرى، واستيعاب هذه المعلومات في النماذج الغربية لتقويتها، وجعلها أكثر قدرة على المزيد من القضاء على هذه الحضارات.

#### هـ. موقف معظم المسلمين لنموذج التنمية الغربي

أما مظاهر موقف المسلمين لتبني نموذج التنمية الغربي كما يأتي:

١- العوامل والأليات المرتبطة بتبني نموذج التنمية الغربي. إذا تؤمل العقود الأربعة الأخيرة في مجتمع المسلمين، فيقال أنه قد حدثت تغيرات هائلة في بناء حياتهم، شهد المسلمون ظهور مؤسسات سياسية واجتماعية واقتصادية جديدة، كما تغيرت أساليب حياتهم وأنماط استهلاكهم بشكل درامي، وقد حدث هذا كله ليس في إطار تبني نموذج التنمية الغربي،

---

<sup>١٤</sup>احمد إبراهيم الموصلى، "تأملات عن التكنولوجيا و التنمية من منظور حضارى"، تحرير عبد الوهاب المسير، اشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، الجزء الأول، هريندن-فرجينيا: المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٩٩٦، ص. ٧٥٢.

<sup>١٥</sup>Syed Sajjad Husain & Syed Ali Ashraf, *Crisis in Muslem Education*, Jeddah: Hodder and Stoughton King Abdul Aziz University, ١٩٨٥, p. ٢٠-٢١.



وفى مناخ تشوبه التبعية للغرب اى الاشتراكي أو الرأسمالى. والعوامل التى يسرت تبنى ذلك النموذج والأليات التى انتشر بها بأبعاده المختلفة فى مجتمع المسلمين:

(أ) فقدان الثقة بالنفس بالمعنى الحضارى. والذى يؤدى إلى الانبهار بالحضارة الغربية، وبكل رموزها دون انتقاء، والذى يصل إلى مدها فى سيادة مشاعر الدونية، والنقص إزاء حضارة الغرب، وفى تولد المشاعر السلبية تجاه الذات، وفى الرغبة فى نفى كل ما هو تقليدى وموروث دون استثناء والتهافت على كل ما يدخل تحت مسمى الموضة بشرط أن يكون نتاجا للغرب تتساوى فى هذا السلع الاستهلاكية أو أدوات الإنتاج، فالمطلوب فى جميع الأحوال اقتناء السلع الغربية لا من منطلق وظيفتها الأصلية سواء فى الاستهلاك أو الإنتاج، بل كرموز حضارية غربية ارتبطت بمفاهيم التحديث والتقدم والمعاصرة.<sup>١٦</sup>

(ب) وجود عناصر أو ميول حضارية مواتية لدى مجتمع المسلمين تمثل "أرضية" حضارية مناسبة لشيوع الموقف السابق من منتجات الحضارة الغربية، ويؤدى هذا الموقف إلى تغذية ودعم هذه العناصر أو الميول. هكذا يمكن اعتبار انتشار الكثير من هذه المنتجات بمثابة دعم لبعض القيم وأنماط السلوك المحلية المتوافقة مع انتشارها دون أن يكون ذلك بالضرورة لصالح الأمة فى اللحظة التاريخية المحددة على مسار تطورها.<sup>١٧</sup>

(ج) أدى التصور الخاطئ أن ما يتم استيراده من آلات ومعدات رأسمالية هو الأداة الرئيسية للتقدم. والعامل الأساسى لزيادة الإنتاج ورفع جودته إلى عدم الاهتمام

<sup>١٦</sup>حامد إبراهيم الموصلى، *ما وراء البحث: ملاحظات ميدانية، ندوة مشكلة المنهج فى بحوث العلوم الاجتماعية، القاهرة: المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٦٣، ص. ٢٣.*  
<sup>١٧</sup>انت أنماط الاستهلاك الغربية تؤدى إلى دعم قيم الفردية فى مجتمع هو فى أشد الحاجة لقيم الجماعة من أجل القيام بتغيرات جذرية فيه، وتدعم قيم النفعية والتبشير بالنعيم الأرضى والرفاهية فى وقت مطلوب فيه التضحية بالنفس، وقيم المركزية فى السلطة فى وقت مطلوب فيه مزيد من اللامركزية، والفوارق الاجتماعية الحادة فى وقت مطلوب فيه تحقيق التقارب الاجتماعى. وهنا عدة أمثلة: -الزاوية التى تستقبل منها كثير من منتجات التكنولوجيا الغربية فى منطق الأمة يمكن اعتبارها بمثابة إحياء لتقاليد السحر فى تراثهم مثل أحدث ما وصل إليه العلم والتكنولوجيا، إلكترونى، وأتوماتيكى، وبالكمبيوتر، -النمو الحاد للنشاط الصناعى فى العالم الثالث، و انتشار الكثير من منتجات التكنولوجيا الغربية فى مجال الاستهلاك والاتصال والانتقال مرتبط بإعطاء أشكال جديدة لبعض القيم السائدة فى النسيج الاجتماعى-الحضارى للمجتمع المحلى، وبهذا تأخذ هذه القيم مضامينها أكثر تمشياً مع انتشار منتجات التكنولوجيا الغربية. حامد إبراهيم الموصلى، "تأملات عن التكنولوجيا والتنمية من منظور حضارى"، ص. ٧٥٥.

بالمواضعمبين الإنسان والألة لا فى مرحلة اختيار الألات ولا فى مرحلة التدريب على التشغيل والصيانة. ولقد أدى هذا الوضع إلى عدم قيام علاقة إيجابية بين العامل الفنى وأدوات إنتاجه، والتي تجعله حريصا على حسن استخدامها وصيانتها وتطويرها.

(د) من أهم العوامل فى انتشار منتجات التكنولوجيا الغربية فى مجال الاستهلاك تبنى الفئات الاجتماعية المترفة لهذا النمط وتحوله من خلال ارتباطه بهذه الفئات الأدنى اجتماعيا. ولقد ساعد على انتشار نمط الاستهلاك الغربى عاملان أساسيان، أولاً- تبنى الدعوة إلى تقليل أو إزالة الفوارق بين الطبقات فى مناخ غير ثورى ودون توفر الأصالة والقدرة على الإبداع لدى من أطلقوا هذا الشعار،<sup>١٨</sup> وثانياً- زيادة الدخل المادية فى المنطقة والتي صاحبت زيادة أسعار البترول منذ ١٩٤٨ والتي كان تأثيرها واسعا فى كافة مجتمعات المنطقة عن طريق الهجرة المؤقتة والدائمة للأيدي العاملة والتي أدت بدورها إلى انتشار نمط الاستهلاك الغربى ووصله إلى أقصى أقصى العمران فى المنطقة.

٢- بعض الآثار الناجمة عن تبنى نموذج التنمية الغربى. أدى تبنى نموذج التنمية الغربى فى مجتمع المسلمين إلى ترسيخ علاقات تبادل غير متكافئة تحولهم بمقتضاها إلى "زبائن" لكل ما تنتجه الحضارة الغربية من سلع استهلاكية ومعمره وأدوات إنتاج وطرق وأنظمة إنتاج وغيرها. ومما يستحق الاهتمام الكيفية التى كان يتم بها التغيير، ولم يكن التغيير يجرى من خلال التطوير الذاتى للناس ومن خلال وعيهم ومشاركتهم، بل كان التغيير نوعا من الإحلال أو الإزاحة لكل ما كان قائما من نتاج البناء الحضارى الأم مما أدى إلى تعطيل الكثير من الوظائف الحضارية وما أدى إلى تفكك وتحلل النسيج الاجتماعى الحضارى للمجتمع.<sup>١٩</sup> وبيان بعض الآثار الناجمة عن تبنى نموذج التنمية الغربى:

(أ) أدى الانتشار السريع لنمط الاستهلاك الغربى خاصة خلال السبعينيات من القرن العشرين وحتى الآن إلى تفكك النسيج الاجتماعى-الحضارى فى قطاعات واسعة للغاية من الريف والمجتمعات المحلية بالمدن الصغيرة، والقضاء على الإمكانيات

<sup>١٨</sup> أنظر، عبد الرحمن عمار، تاريخ فى النسيج المصرى، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٥، ص. ١٥.

<sup>١٩</sup> محمد منير مرسى، التربية الإسلامية أصولها وتطورها فى البلاد العربية، ص. ٣٢٠.

الإنتاجية الثرية لهذا النسيج. فلقد شكلت المكونات المادية لنمط الاستهلاك الغربي منافسا لا يقاوم من نمط الاستهلاك المحلى والتي توفرها البنى الإنتاجية المحلية. والأكثر من ذلك أن عملية استبدال المكون المحلى لنمط الاستهلاك بالمكون الدخيل كانت فى واقع الأمر استبدالاً لمكون متعدد الوظائف بمكون احادى الوظيفة.<sup>٢٠</sup>

(ب) يمكن رسم صورة مشابهة عندما تحل أنظمة إنتاجية غربية محل أخرى محلية، فهذا الاستبدال يرتبط عادة بعملية تفكك اجتماعى-حضارى للمجتمع المحلى. فالأرض مثلا فى المناطق المتخامة لمدينة مرسى مطروح ليست عامل إنتاج فحسب، فهى تعبر عن توازن اجتماعى-حضارى للمجتمع المحلى هناك، والمياه فى واحة الفرافرة بالصحراء الغربية ليست مجرد مورد اقتصادى، فالبنية الاجتماعية-الحضارية لمجتمع الواحد مرتبطة بقوة بعيون الماء هناك، وهكذا يودى إدخال الأنظمة الإنتاجية الغربية والمرتبطة بنظرة وظيفية ضيقة لموارد المجتمع المحلى باعتبارها عوامل إنتاج فحسب، إلى حرمان النسيج الاجتماعى-الحضارى للمجتمع المحلى من بعض وظائفه الحيوية دون إيجاد أشكال جديدة لشغل هذه الوظائف.

(ج) وسائل الإعلام الجماهيرية وخاصة التلفزيون لها آثار هدامة على النسيج الاجتماعى-الحضارى للمجتمع المحلى. إنما فى النموذج الاجتماعى-الحضارى الذى يمثله جهاز التلفاز كما يستخدم حاليا كأداة لنقل المعلومات، وبالتالي لتشكيل وعي الإنسان، الإنسان هنا كفرد، كمفعول به، وكموضوع خاضع تماما للتشكيل من قبل النظام الاجتماعى-السياسى الذى يتحكم فى التلفزيون، العلاقة هنا علاقة فاعل بمفعول به، علاقة رأسية تصل بمقتضاها المعلومات فى صورة عبوات جاهزة تامة الصنع فى اتجاه واحد، أى فى صورة مونولوج، ففى التخيل مثلا أفراد الأسرة وهم جالسون أمام التلفزيون الذى يحدث هو أن علاقات الحوار الحية بين أفراد الأسرة تستبدل بعلاقات المونولوج بين التلفزيون وكل منهم باعتبارهم أفرادا منعزلين، ومن ناحية أخرى فإن تفكك نسيج المجتمع يودى إلى انتشار نمط انعزالي من الحياة الاجتماعية.

<sup>٢٠</sup> عبد الرحمن عمار، تاريخ فى النسيج المصرى، ص. ٢٠.

(د) وسائل المواصلات الغربية لها عادة تأثير مدمر على النسيج الاجتماعي-الحضارى للمجتمعات المحلية خاصة فى الريف. فالمكان فى هذه المجتمعات سواء كان المنزل أو الطريق أو القرية أو غيرها تعبير عن منطق اجتماعى-حضارى محدد، هذا المنطق شديد الحساسية لاعتبارات الخصوصية وهو لهذا يتيح انتقالا تدريجيا من المكان الخاص للعام. وعند تمد الطرق الأسفلتية الواسعة عبر قرية مثلا فإن هذا المنطق يهدم بلا رحمة.<sup>٢١</sup> بالإضافة إلى ذلك فوظيفة الطريق تتغير من كونه مكانا للعمل والتعلم والاستمتاع والتواصل الاجتماعى والحوار مع الطبيعة إلى كونه مكانا ذا وظيفة واحدة.

(هـ) قدرة أيّ مجتمع محلى على الدفاع عن نفسه ضد أى شكل من أشكال الغزو الحضارى<sup>٢٢</sup> تتوقف على قوة التماسك الاجتماعى التى يكون بوسع المجتمع بفضلها أن يضبط سلوك أفراده. ومن ناحية أخرى فإن وظائف الضبط التى يقوم بها النسيج الاجتماعى-الحضارى توازنها وظائف أخرى يقوم بها ذلك النسيج، وهى وظائف إشباع الحاجات الأساسية- المادية والروحية.<sup>٢٣</sup> هكذا ينهار التوازن بين وظائف الضبط ووظائف الإشباع التى يقوم بها النسيج الاجتماعى-الحضارى وتتهار بالتالى مشروعية وظائف التحكم التى يقوم بها هذا النسيج مما يؤدى إلى إضعاف قوى تماسك المجتمع، وبالتالي قدرته على الصمود إزاء انتشار منتجات التكنولوجيا الغربية.

(و) التعليم الرسمى يعتبر أهم العوامل التى تؤدى إلى تفكك المجتمعات المحلية، والقضاء على الكثير من المعارف والخبرات التكنولوجية التقليدية التى تضمها. فالبنى التنظيمية للتعليم الجامعى الرسمى فى بلدان المسلمين -على سبيل المثال- هى فى الأغلب نسج

---

<sup>٢١</sup> إلى جانب ذلك فالطرق الأفقية تآتى بالعربات الخاصة التى ترتبط بتقسيم حاد للطريق بين من يملكون ومن لا يملكون العربات. حامد إبراهيم الموصلى، "تأملات عن التكنولوجيا و التنمية من منظور حضارى"، ص. ٧٦٣.

<sup>٢٢</sup> انتشار منتجات التكنولوجيا الغربية هو أحد هذه الأشكال.

<sup>٢٣</sup> والذى يحدث أن استبدال وسائل إشباع الحاجات المادية المحلية بوسائل خارجية مثلا منتجات التكنولوجيا الغربية فى مجال الاستهلاك- يؤدى إلى حرمان النسيج الاجتماعى-الحضارى المحلى من وظائف إشباع كل من الحاجات المادية والروحية لأنه وفقا للمنطق الكلى للمجتمع المحلى وللتكنولوجيات التقليدية يرتبط إشباع الحاجات المادية مع الروحية ارتباطا وثيقا، بل وليست هناك خطوط فاصلة واضحة بينهما.

محرفة للبنى التنظيمية للتعليم الرسمي في مجتمعات الغرب. والمقررات الدراسية ومناهج التدريس منقولة نقلا حرفيا تقريبا من مقابلاتها في الغرب، وربما يرجع أهم سبب للإختلاف بينها إلى الزمن، أي تقدم المقررات الحالية بمقارنتها بمثيلاتها في الغرب.<sup>٢٤</sup> هكذا يمثل التعليم الرسمي على مستوى الجامعات والمدارس من زاوية المجتمع المحلي قوة طاردة تؤدي إلى إغراب الشباب المتعلم عن بيئته الحضارية، وجذبه إلى المدن الكبرى حيث يسود أسلوب الحياة الغربى الأكثر اتساقا مع بنية التعليم الرسمي.<sup>٢٥</sup>

(ز) قد تمثل الحياة في ذلك نموذج التنمية الغربى في مجتمعات المسلمين تدريبا مستمرا على الإغتراب. العمل مع أفراد تجمعهم علاقات وظيفية أحادية البعد في نشاط إنتاجى موجه نحو السوق والحياة في أسر صغيرة منعزلة في شقق صغيرة متشابهة في مبان مرتفعة، والسعي المحموم وراء اقتناء السلع الاستهلاكية والمعمره، والتي تتزايد تنويعاتها وبدائلها يوما بعد يوم ضمور هامش الوقت المخصص للتواصل الاجتماعى والتثقيف الذاتى، والوقوع التدريجى في أسر أجهزة الإعلام الجماهيرية التي تقوم بالتغذية المستمرة للأخبار والأحداث، دون أي فرصة حقيقية للمواطن للمشاركة في هذه الأحداث.

(ح) تحلل النسيج الاجتماعى-الحضارى للمجتمع تحت تأثير التحديث وفقا للصيغة الغربية وفقدان أو ذوبان الهوية الحضارية يعنى ببساطة أن الأساس الأخلاقى والروحى للحياة قد تم نفسه. هذا يؤدي بالتالى إلى مشاعر عميقة بعدم الثقة فى النفس وعدم الأمان فى الداخل، وبالتالى بحث المحموم عن وسائل خارجية لتوكيد الذات، ومع غياب الإحساس الحقيقى بالهوية التى هى بالضرورة حضارية، ومع تفتت الشخصية، يتجه الأفراد إلى أنماط السلوك التعويضية بدلا من التكاملية. فالفرد لا يسعى فى هذه الحال

<sup>٢٤</sup> بل الأكثر من البحوث العلمية كما يجزى حاليا فى المؤسسات التعليمية بعيد- فى الأغلب- كل البعد عن مشكلات المجتمع الإسلامى، وسائر على طريق تقليد المؤسسات التعليمية فى الغرب فى اختيار وإجراء البحوث العلمية.

<sup>٢٥</sup> لا يتم فحص التراث الحضار الثرى للمجتمعات المحلية فى العلم والتكنولوجيا، ولا يتم تعديله أو إحيائه عبر الأجيال مما يؤدي إلى ازدياد الهوة بين التكنولوجيا التقليدية الخادمة والتكنولوجيا الغربية الحديثة مما يجعل الأولى فى وضع ادنى، ويؤدي إلى ضمورها وانحلالها من ناحية، وإلى الحاجة للمزيد من منتجات التكنولوجيا الغربية من ناحية أخرى.

للاتساق والتناغم فى كافة مجالات الحياة، بل يسعى لتعويض ما فقدته فى أحد مجالات  
الفعالية بما يستطيع كسبه فى مجال آخر.

### و. التربية والنهضة الحضارية للمسلمين

واضح مما سبق أن اتباع نموذج التنمية الغربى يعنى فى الواقع. هو الأول، القبول  
بصيغة التحديث الغربى كما هى، والقبول بالمؤسسات السياسية والاجتماعية و الاقتصادية و  
الثقافية، وبنمط تقسيم العمل السائد، واساليب الحياة مهما كانت التكلفة الاجتماعية والحضارية  
والبيئة المرتبطة بذلك. والثانى، وضع المسلمون لدول الغرب الصناعى فى موضع القدوة  
والنموذج الذى يحتذى دون منازع، أى وقوفهم موقف التابع وليس الطالب، من الحضارة  
الغربية.<sup>٢٦</sup> وقد سبق بأن التعليم أو التربية هو سلوك يسلكه الفرد بحيث يؤثر فى سائر سلوكه  
فيحسنه ويكون سببا فى تقدمه. ومن هذا يقال بأن التربية وسيلة من الوسائل الفاعلية للتقدم أو  
النهضة الأمة، وليس الموقف الأول أى موقف التابع أو التقليد هدفا من التربية، بل تواجه  
التربية المسلمين إلى الموقف الثانى أو موقف الطالب الذى قد يكون من الطلبة يتفوق على  
استأذه.

هناك ضرورة ملحة للتخلى عن محاولات اتباع نموذج التنمية الغربى، فنموذج التنمية  
الغربى غير مرغوب فيه لأنه يرتبط عضويا بصيغة التحديث الغربى، تلك الصيغة التى تنطلق  
من رؤية للوجود تضع الإنسان فى مركز الكون، وتقتصر الحياة على الحياة الدنيا. الدوافع  
الوجودية ترى تحقيق أقصى رفاهية مادية للإنسان باعتباره الهدف الأسمى للحياة، ولا ترى أن  
أسلوب حل التعارض الحتمى بين الهدف السابق وبين ندرة الموارد يتمثل فى تهذيب النفس  
الإنسانية وتقويمها بالتربية، بل فى توظيف العلم والتكنولوجيا من أجل المزيد من السيطرة على  
الطبيعة، وفى التنافس والصراع على المستوى الاجتماعى، وعلى الصعيد العالمى من أجل  
تحقيق هذا الهدف مهما كانت المشكلة البيئية والاجتماعية-الحضارية.

---

<sup>٢٦</sup>هناك اختلاف كبير بين الموقفين، أما موقف الطالب هو موقف طارئ محدود بفترة زمنية محدودة  
ومن الطلبة يتفوق على أساتذته، لكن موقف التابع هو موقف يفترض الديمومة ليس له إنتاج القيم أو إعادة إنتاج  
القيم أى إحياء قيم قديمة مع إعطائها مضامين جديدة تتفق مع سياق مكانى وزمانى جديد.

يتبين للمسلمين بأنه لا يمكن أن تحل مشكلاتهم إلا بالنهضة في كل ناحية بواسطة التربية. لذلك ينبغي هنا ذكر من شروط النهضة للمسلمين، ومنها:

١- جوهره التحديث. هو تحقيق الذات بالمعنى الحضارى، القيام بالتحويلات الاجتماعية والحضارية اللازمة التي تقوم على أداء الفروض العلمية والتكنولوجية. والتي تمثل المدخلات الضرورية للبقاء في المحيط الاقتصادي والعسكري الدولي، والاستفادة منها مع تجاوزها حضاريا في نفس الوقت. التأكيد على التحقق الحضارى يعنى توظيف طاقة الإيمان، والانتماء الحضارى، وإيقاظ القوى الموحدة في النسيج الاجتماعي-الحضارى للمجتمع. وبالإضافة إلى ذلك فالفهم السابق للتحديث يعنى أن يبدأ المسلمون بالانسان، وأن يتقوا به، ويعتمدوا عليه في إحداث التحويلات الاجتماعي-الحضارى اللازمة. فهؤلاء الذين ينظرون لوجودهم باعتباره رسالة وإلى حياتهم باعتبارها قطرة في تيار بعث حضارى يتجاوزهم كأفراد، ويمتد بهم في الزمان عبر عشرات الأجيال، بل وخارج الزمن الدنيوى، والذين يشعرون بالثقة في النفس، وبالمعنى والامتلاء لانتمائهم إلى حضارتهم الأم هم القادرون على المشاركة الواعية فى إنهاض مجتمعهم وأمتهم.<sup>٢٧</sup> هنا تمثل قوة الإيمان شرطا ضروريا للجهاد ضد أطماع النفس وللتضحية بالمصلحة الفردية على المدى القصير من أجل تحقيق الأهداف الجماعية ولمقاومة أشكال الإغراء والإغواء المختلفة للغزو الحضارى الغربى بكل صورها وتنويعاتها والتي تعمل على إخضاع الإنسان واستعباده خطوة بخطوة عن طريق تكوين العادات وأنماط السلوك المختلفة.<sup>٢٨</sup>

٢- إن الكلية الحضارية والتماسك الحضارى، أى ترابط الهوية الحضارية، واستمراريتها، وقدرتها على التجدد على محور الزمان. الراهن ليس فقط بقدراتها الإنتاجية، بل كذلك بفعالية الأنساق الرمزية الحضارية المختلفة، وقدرتها على التعبير الحضارى ونقل المضامين الحضارية داخل وعبر الأجيال. والدور الذى تقوم به هذه الأنساق الرمزية هو *أولا*، فى إطار الجيل الواحد. تنتشئة الفرد كفاعل حضارى، وذلك لا يتأتى إلا باستيعابه للمضمون الحضارى، للسمات المختلفة لحضارته حتى يكون بمقدوره المشاركة فى بنائها

<sup>٢٧</sup>على خليل أبو العينين، فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن الكريم، القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٠، ص. ١٣٣-١٣٤.

<sup>٢٨</sup>حامد إبراهيم الموصلى، "تأملات عن التكنولوجيا والتنمية من منظور حضارى"، ص. ٧٧١.

وتجديدها انتلاقاً من قدراتها ومميزاتها الكامنة. وثانياً، نقل التراث الحضارى. مجمل خبرة الأجيال فى تعاملها مع الطبيعة، ومع ذاتها، ومع الحضارات الأخرى للأجيال القادمة، ودون ذلك الدور تستحيل الاستمرارية الحضارية، وتتقطع المسيرة، وتتفنى بالتالى القدرة على التطور وتجدد الذاتين.

٣- المطلوب إذا نهضة أو بعث حضارى. وليس تنمية بالمعنى المتعارف عليه مثل تلك النهضة أو البعث سوف يختلف جذرياً عن النهضة التى حدثت فى الغربى. فمؤذ التحول الغربى ابتداء من النهضة ثم الثورة الصناعية فالثورة العلمية والتكنولوجية غير مرغوب للمسلمين، لأنه لا يتسق مع المبادئ الحاكمة والقيم الأساسية لحضارت الإسلام. كما أنه غير قابل للتشغيل نظراً لعدم اتساقه مع البيئة. والنهضة الحضارية التى يتحدث عنها هنا تختلف عن النهضة التى حدثت فى الغرب ليس فقط فى الغايات، بل كذلك فى الوسائل كأساليب التربية أو التعليم، والدور المنوط بالعلم والتكنولوجيا القيام به، والتحول الاجتماعى-الحضارى وغيرها.

٤- يعتقد المسلمون بأن حلم الجنة على وجه الأرض -حلم الوصول للرفاهية المادية كهدف أسمى- لم يكن أبداً حلماً أصيلاً فى حضارة لا تضع الإنسان فى مركز الكون، ولا ترى الحياة الدنيا منفصلة عن الأخرى أى الأبدية، وحتى الحاجات المادية فى حضارتهم لا ترى منفصلة عن الحاجات الروحية، مع التركيز على الدوام على ضبط النفس والاعتدال أمام ملذات الحياة. مضمون النهضة إذا هو التحرير، تحرير الإنسان من العبودية لكافة الأصنام، سواء منها السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو حتى الفكرية.<sup>٢٩</sup>

ومن هذا المنطلق ينبغى أن ينقل الشكل الذى يعبر عن الرؤية الحاكمة للتنمية من منظور غربى (أنظر: صحيفة رائدة). ومقابلة فى رؤية الحضارية الإسلامية بوثيقة الصلة للمعالم الإسلامية.

أولاً، لا يرى المسلمون الكون ولا ما يتعلق به إلا من خلال علاقاتهم إيماناً بالله وبالإسلام. الإسلام يعلمهم أن يروا الله فى كل شئ، فى المجرات البعيدة، كما فى ذرات

---

<sup>٢٩</sup>على خليل أبو العينين، فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن الكريم، ص. ١٢٢. وعنده للمسلم ثلاثة تحررات، وهى التحرر العقائدى، التحرر الفكرى، والتحرر الاقتصادى.



الأرض، وفي أنفسهم كذلك.<sup>٣٠</sup> إنهم من خلال الإيمان ينتموا للكون كتعبير عن انتمائهم لله تعالى، فالإيمان يمثّل بالنسبة للمسلمين- الوطن الأكبر الذى تتطوى تحته أوطان كثيرة أخذة فى الصغر، والإسلام يعلمهم أن يتغلّقوا أبداً فى الأوطان الأصغر، فهم يميلون بحكم قصورهم الذاتى، وغرائزهم البشرية للالتصاق بالأرض، والانغلاق دون الحيز الأكبر للوجود، ذلك الحيز الزمانى والمكانى فى الدين يلخصه تعبير عالم الغيب، والذى هو الزمن السرمدى، والذى لا تمثّل حياة المسلمين إزاءه إلا ومضة قصيرة، وهو الحياة والموت، وهو الدنيا والآخرة، وهو الله عز وجل، وهو كل ما خلق الله، ويخلق، وسوف يخلق بمشيئته.<sup>٣١</sup>

ثانياً، الوقت فى الرؤية الإسلامية. الوقت الدنيوى المحدود غير منقطع الصلة بالوقت أو الزمن السرمدى، بل إنه موصول به صلة عضوية من خلال الحساب فى الآخرة.<sup>٣٢</sup> الوقت فى الإسلام يمثّل نسفاً مفتوحاً، وهو ليس كما خالصاً يباع ويشترى، ينفق أو يستهلك كما فى الرؤية الغربية حتى يوجد المثل القائل (time is money) والوقت فى الإسلام مشبع بالهدف والمعنى،<sup>٣٣</sup> وهو نوع أكثر منه كم، وهو جماعى أكثر منه فردى حيث الخطاب القرآنى موجه للجماعة مع كون الحساب فردياً.

ثالثاً، الفردية فى الإسلام لها وضع بالغ التميز بالمقارنة بالرؤية الغربية. الخطاب للفرد أو عن الفرد لم يأت فى الإسلام إلا فى سياق الحساب، يعنى هذا أن ما يمكن أن يتميّز به الفرد يرتبط بالوظيفة الاجتماعية، الفرد فى الإسلام ليس مؤسسة قائمة بذاتها من القدرات والمهارات والرغبات، بل إنه مستخلف فى كل ما أنعم عليه الله به من قدرات

<sup>٣٠</sup> سعيد اسماعيل على، نشأة التربية الإسلامية، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٨، ص. ١٥١.

<sup>٣١</sup> نعم المسلمون يميلون إلى الانغلاق فى العالم الأرضى المحدود الذى تدرّكه حواسهم والذى يخضع بقدر لسيطرتهم. إنهم يخضعون لإغراق الانغلاق فى هذا العالم الضيق الملموس والركون للدنيا، الدنيا الصغيرة، فالإيمان مسيرة للخروج من الظلمات إلى النور، للخروج من الارتباط قصير النظر بعالم الدنيا المحدود المغلق إلى الارتباط بمساحة الوجود الرحبة والتي هى حقيقية تماماً، الإيمان مسيرة نضج واكتمال للبصيرة والنفس تتم من خلال المعاشاة الفعلية لهذا العالم الأوسع، فيعاشه المسلمون بالضبط كما يعاشوا العالم المادى الملموس، ويعاشوا الله، والملائكة، والشيطان، والموت، والحساب، والآخرة كما يعاشوا الدنيا المحدودة. وبالحوصل إن المسلمون هكذا يعيشون "هنا والأن" و"هناك وغدا" فى نفس الوقت.

<sup>٣٢</sup> ألا تزر وزرة أخرى \* وأن ليس للإنسان إلا ما سعى \* وأن سعيه سوف يرى \* ثم يجزاه الجزاء الأوفى (النجم: ٣٨-٤١).

<sup>٣٣</sup> وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (الذاريات: ٥٦).

ومهارات وإمكانات مادية، مستخلف في عقله، ووجدانه، وحواسه، وجسمه، ووقته، والنفس في الإسلام لا يمكن أبدا أن تكون الإطار المرجعي للإنسان كما في الحضارة الغربية، بل المسلمون مطالبون بالدخول في حوار ساخن مع النفس طالما ظلوا أحياء استنادا إلى علاقاتهم بالله تعالى، فالنفس في الإسلام تحمل نوازع خيرة وأخرى شريرة، وهم مطالبون بأن ينصروا الخير في نفوسهم على الشر، إن مقولة "أن أكون نفسى" ليس لها أى معنى في ظل الإسلام.

رابعاً، والفعل الإنساني في الإسلام فعل الإنسان المؤمن، لا يجب أن يرى بمعزل عن فعل الله. والمعنى العميق للصوفية في الإسلام هو في أن يصل التناغم بين الإنسان وربّه إلى الدرجة التي يستحيل بها الإنسان إلى وسيط من وسائط الفعل الإلهي، كما تكون قدرة الله عز وجل متحدة بقدرة الإنسان وهو عبده المؤمن. والمسلمون مطالبون بالألا يتغلقوا دون الله في أى فعل يأتيه، أو وضع يتخذوه.<sup>٣٤</sup>

٥- على المسلمين أن يستعيدوا ثقمتهم بأنفسهم وبقدرتهم الجماعية على الإبداع وعلى بناء قدراتهم التكنولوجية. ولهذا يجب على المسلمين أن يتحرروا من رقة الشدود بالإنجازات العلمية والتكنولوجية الغربية وألا يغيب عن إدراكهم أن ظاهرة تفوق الغرب علميا وتكنولوجيا ظاهرة حديثة جدا بمقاييس التاريخ، وأن التاريخ البشري ثرى بالإنجازات العلمية والتكنولوجية العظيمة التي ساهمت فيها المجتمعات الإسلامية بنصيب وافر. كما أن المنهج العلمي كما ظهر في الغرب خلال القرنين السادس والسابع عشر كان معروفا في إطار الدولة الإسلامية.<sup>٣٥</sup> إن النمط السائد حاليا للنقل احدى الإنجازات التكنولوجية لدول الغرب الصناعي التي استقداها المسلمين هو بدوره نمط بالغ الحدائة فحتى قيام الثورة الصناعية في الغرب في القرن الثامن عشر كانت الإنجازات التكنولوجية تتناقل من حضارة لأخرى، وتطوع لتتمثلها البيئة الحضارية المستقبلية، وهذا هو أحد أهم شروط نمو الحضارات وازدهارها. إن تبعية المسلمين التكنولوجية للغرب هي عملة ذات وجهين، إحداهما يعكس اعتماد المسلمين على القدرة التكنولوجية الغربية في القيام بالكثير من الوظائف الهامة في

<sup>٣٤</sup> كلا إن الإنسان ليطغى\* أن رءاه استغنى\* إن إلى ربك الرجعى (العلق: ٦-٨).

<sup>٣٥</sup> أنظر، رشدى راشد، تاريخ العلم والعطاء العلمي في الوطن العربي: تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥، ص. ١٣.

المجتمع الإسلامي، الاستخراج والإنتاج والاستهلاك والانتقال والاتصال والدفاع وغيرها، والوجه الأخر يعكس اعتماد الغرب على السوق الذي يبيعون فيه منتجاته التكنولوجية في المجالات المختلفة. معنى هذا أن الأوراق ليست في يد الغرب كلها، وأن لدينا القدرة على التأثير على الغرب، وعلى مجمل الظروف العالمية من خلال ضبطهم لحاجاتهم من سلع الغرب في المجالات المختلفة.

٦- فلا بد من ثورة حضارية في مجال التربية أو التعليم. فأسلوب التعليم الحالي يمثل في كثير من الأحيان أداة للاغتراب الحضاري على المستويين القومي والمحلي. فهناك حاجة لفحص العملية التعليمية ككل، وعلى وجه الخصوص من ناحية مضمونها الحضاري، والمعارف والمبادئ والقيم التي تنقلها للفرد، وكذلك نموذج الشخصية الذي تتبناه فالحاجة ماسة لنظام تعليم يكون متمشياً مع بناء المسلمين في الحضاري. فمثل هذا النمط يجب أن يبنى نموذج الخدمة الاجتماعية في جوهره، أي أن يكون شعار هذا النظام التعلم من خلال الحوار مع النسيج الاجتماعي-الحضاري الحي للمجتمع، ومن خلال العمل الإصلاحي المستمر في البيئة المحلية. ومن الضروري كذلك عن أسس الإنتاج الكمي في التعليم الرسمي، فلا بد أن تحقق اللامركزية في التعليم على الأقل على مستوى المدارس بشكل حاسم، وبدرجة أقل على مستوى الجامعات والمعاهد العليا (إقامة مدارس للحرف والصناعات في دمياط ومدارس زراعية في الساحل الجاوي الشمالي على سبيل المثال) بحيث تراعى احتياجات المجتمع المحلي في وضع مناهج التعليم وبناء المدارس والمعاهد والجامعات. يعني هذا تطويع المقررات لحاجة كل مجتمع محلي في إطار المصلحة القومية ككل، فالبرامج الدراسية يجب أن توضع بحيث تساعد التلاميذ على اختيار وتحسين وتوكيد وتطبيق المعرفة الواسعة التي يكتسبونها كأعضاء في المجتمع المحلي.

## ز. الخاتمة

أن التربية واسطة مهمة لتقدم الأمة وتميئتها، لا سيما في هذا القرن الذي تنتشر نماذج التنمية المتنوعة وبالخصوص نموذج التنمية الغربي. والأُن شهد المسلمون ميول مفكري الإسلام إلى ذلك النموذج، فأسلوب التعليم الحالي يمثل في كثير من الأحيان أداة للاغتراب

الحضارى على المستويين القومى والمحلى. لذلك يجب على متخصصى التربية الإسلامية أن يكونوا نظائرهم الجديدة لمقابلة نظائر التربية الغربية ونشروها. فهناك حاجة لفحص العملية التعليمية ككل، وعلى وجه الخصوص من ناحية مضمونها الحضارى الإسلامى، والمعارف والمبادئ والقيم التى تنقلها للفرد، وكذلك نموذج الشخصية الذى تتبناه فالحاجة ماسة لنظام تعليم يكون متماشيا مع بناء المسلمين فى الحضارى.

### المصادر

حامد إبراهيم الموصلى، "تأملات عن التكنولوجيا و التنمية من منظور حضارى"، تحرير عبد الوهاب المسير، إشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهد، الجزء الأول، هريندن-فرجينيا: المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٩٩٦.

حامد إبراهيم الموصلى، ماوراء البحث: ملاحظات ميدانية، ندوة مشكلة المنهج فى بحوث العلوم الاجتماعية، القاهرة: المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٦٣.

حسين سليمان قورة، الأصول التربوية فى بناء المناهج، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩.

رشدى راشد، تاريخ العلم والعتاء العلمى فى الوطن العربى: تهيئة الإنسان العربى للعتاء العلمى، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥.

سعيد اسماعيل على، نشأة التربية الإسلامية، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٨.

سيد أحمد عثمان، التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٩.

صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد، التربية وطرق التدريس، القاهرة: دار المعارف، بلا سنة.

عبد الرحمن النحلوى، أصول التربية الإسلامية وأساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٨٣.

عبد الرحمن عمار، تاريخ فى النسيج المصرى، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٥.

على خليل أبو العينين، فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن الكريم، القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٠.

على خليل مصطفى أبو العينين، "عمر بن الخطاب واهتمامه التربوية"، فى على بن محمد التويجى، من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد ١، بدون مكان: مكتب التربية العربى لدول الخليج، ١٩٨٨.

على خليل مصطفى أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية: دراسة فى طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية فى تكوينها وتنميتها، المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حسبى، ١٩٨٨.

محمد منير مرسى، التربية الإسلامية أصولها وتطورها فى البلاد العربية، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٢.

Syed Sajjad Husain & Syed Ali Ashraf, *Crisis in Muslem Education*, Jeddah: Hodder and Stoughton King Abdul Aziz University, 1985.

Mastuhu, "Pendidikan Agama Islam di Perguruan Tinggi Umum," Fuaduddin & Cik Hasan Basri (ed), *Dinamika Pemikiran Islam di Perguruan Tinggi: Wacana tentang Pendidikan Agama Islam*, Jakarta: Logos Wacana Ilmu, 1999.